الفصل الثامن:

الشعـر في حيـاتـه

الفصل الثامن: الشعر في حياته*

إن المتتبع للصعوبات والتحديات التي مرّ بها محمد السبيعي خلال أطوار حياته في طفولته وشبابه وكهولته يتوقّع أن يكون السبيعي ليس مشغول الفكر والبال في مجال الأعمال الحرة والصرافة فحسب، وإنما شخصية متعددة الإمكانيات، إذ استطاع الجمع بين عقل التاجر الصادق وقلب الشاعر المرهف ووجد في نظم الشعر المتنفَّس الوحيد -بعد اللجوء إلى الله- الذي يترجم به ما بداخله من أحاسيس ومشاعر؛ وذلك عندما تضيق به السبل، وهذه نعمة من نعم الله تساعد المرء على تفادي الوقوع في قبضة الكآبة وبراثن الحزن.

فالشعر هو جزء من كيانه ووسيلته في التعبير عما يختلج مشاعره نحو أي حدث يمر به ويعيش فيه ويتعايش معه، فهو يجد فيه مستراح الفكر وتسلية النفس بعد عناء العمل وضغوطات الحياة، ولعل ما أثَّر في بداياته -خصوصاً- حضوره لمجلس عمه ناصر السبيعي عندما كان حينها في الثامنة عشرة من عمره مما أكسبه ميلاً إلى حب الشعر، حيث كان مجلس عمه يضم كوكبة من الشعراء فيسمع منهم

* صدر للشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي ديوان مطبوع بعنوان «من النوادر.. تاجر وشاعر» ضمّ كل قصائده.

obeikandl.com

كانت مرارة بُعد السبيعي عن أهله وأولاده وأحبابه في المملكة في أثناء رحلاته التجارية من أهم عوامل استنهاض شاعريته، ويظهر في الصورة عن يمينه صديقه عبدالعزيز المقيرن.

أبياتاً وقصائد صقلت موهبته الشعرية مبكراً، وهيأته لطرق أغراض معينة سيطرت على مسيرته الشعرية فيما بعد، وغلبت على ذهنه، فهو يعايشها ويجد في ذكرها سعادة ومتنفساً.

أما أمه -رحمها الله- فقد كان لها أكبر الأثر في حياته؛ ونتيجة لذلك أفرد مساحة واسعة من شعره في ذكر أفضالها وحنانها وشخصيتها الفريدة وخصَّها بكثير من قصائده، فهو يترجم ما يكن لها من مودة واحترام، ويصف معاناة الوالدين وما يجدانه من مشقة في سبيل راحة أبنائهما، وحينما توفيت أمه كانت صدمة فقدها ذات أثر كبير عليه؛ لذا تعثَّر قلمه ولم يستطع أن يكتب فيها بيتاً واحداً بعد ذلك؛

لشدة وقع المصاب على نفسه، يقول في إحدى قصائده معبِّراً عن معاناة الوالدين في تربية الأبناء:

هن الذي تعبن علـينا وحنّا
كالبيض محتاطة عروضٍ كثيرات
إما مرج وإلا انكـسر وخسـرنه
وإلا صلح والله يعطي العليات

صورة دقيقة واضحة بسيطة اقتبسها من بيئته وجمعت كل الأخطار التي يتعرض لها الطفل وهو يتلمس طريق الحياة غِراً.

وقال في فضل الوالدين وأن جزاءهم على الله:

لو نجتـهد كل الجـهد ونتـعنا
مثل الذي ينزح من البير بغطاة
كن الثـرى مثل الثـريا تدنى
حنا الثرى وهن الثريا رفيعـات

ونجد في هذين البيتين جزالة الشعر وحسن التشبيه، وأنك مهما اجتهدت في بر الوالدين فإنك لن توفيهما بعض ما يجب عليك تجاههما، وأن كل شيء يصغر ويتواضع أمام حق الوالدين، وهذه من المواعظ التي احتوت عليها كثير من قصائده وضمنها ديوانه المطبوع «من النوادر.. تاجر وشاعر».

obeikandi.com

⋆ أما عاطفته الصادقة تجاه أخيه عبدالله السبيعي من اعتزاز ووفاء وحب فقد ضمنها الكثير من قصائده فهو يقول:

عضيدي شقيقي يقصر المدح دونه
هـمام وفي طيـباتـه تعـددت

وعند فراقه لأمه وأخيه يقول:

البارحـة يوم إن كـل تـهنا
كـلٍ غفت عينه بجنب الحبيبات
وأنا دموعـي جـارية مـا تونا
من فقد من له بالحشا مثل إبانات
لا هو ولـد ولا خلـيك غبنا
ولا صديـق ولا غـروس ظليلات
ترى الولد ياتي بداله مـثنا
وترى بدال الخـل نلقى خليلات
والمـال والصـاحب وكـلاتهنّ
كلاتهن سـهلات ما هن مصيبات
ترى المصيبة بالذي يـوم كنّا
نرقد طرب وهن ساهرات عليلات
هن الـذي حق علـينا لهنّ
السمـع والطاعة بكل الجوابات

obeikandl.com

كذلك من الأمور التي نراها كثيراً في قصائده حبه لزوجته واعتزازه بجميلها.. ومما قاله فيها:

مهما تعـرض ومهـــما بي تهـــلي
عندي كحيلة أصـــيلة مـــن أصايل
مأمونةٍ حرةٍ وتشـــيل حـــملي
وتصبر على غلطتي ولو كنت عايل
حب أريش العين تل القلـــب تل
هو قايد الـــريم هو كَثّ الجـدايل

ثم يقرر أنه وزوجته متكاملان ويقر بمعروفها عليه فيقول:

أعيذه بربي من حسد بعض الأنجاس
ذربٍ مـكـملني وأنـا لـــه كـمالا
والله يجيره من هوى كل وسـاوس
ومن هي تـروف بزوجها والحـــلالا
يا ما تحـديته وأخـــطيت يا نـاس
وهي تحـــدانـي بطـــيـــب ودلالا

obeikandl.com

ما يجحد المعروف غير أرذل الناس

أو فاشل حاقد عقوق زمالا

والصور البلاغية الرائعة التي تضمنها الديوان تبيِّن لنا مدى تقدير السبيعي العميق لدور الأسرة وحبه الشديد لأفراد عائلته أماً وأخاً وزوجةً وأولاداً.

كما أن له نصائح فريدة في حث الشباب على العلم والمثابرة والرقي، ومن النصائح التي وجهها للشباب ما قاله في إحدى قصائده:

يا الشباب الطامح خذ العلم مني

علم أوكد من سهيل بن اليماني

اغتنم أوقات درسك لا تونى

ناظر اللي اغتنم بأعلى مكاني

واحذر الفاشل والأبله والتمني

ما نفع غيرك كثيرات الأماني

كما نجد له الكثير من القصائد التي تبيِّن وطنيته وتوضح مدى ارتباطه العميق بأرضه ومحبته لوطنه وقيادته.. قال في إحدى قصائده:

من حمى الإسلام وحكومة رشيده
زاده الله عز وتوفيق ومهارا
حكمها بالشرع والقرآن سيده
وبالعدل والسيف ما فيها مدارا

وفي رثاء الملك فيصل - رحمه الله - قال أبياتاً منها:

ظهر الثلاثاء حك بالمملكة كرب
يا الله عسى عقبه سعود نراها
هات القلم باملاه من ثومه القلب
لعل يشفي علتي ما براها
وهات المطابع كلها واضبط الكتب
وأكد على كل الجرايد نباها

كما أن له كثيراً من القصائد التي فيها الموعظة وروح الطرافة

obeikandi.com

والحكمة والرثاء والقصائد الوطنية وشعر الردّ وغيرها من أغراض الشعر العربي المعروفة . وقد جُمعت في ديوان له مطبوع ومتداول في الأسواق بعنوان «من النوادر .. تاجر وشاعر».

السبيعي يعرض إحدى البنادق القديمة والثمينة على صهره الدكتور سليمان السماحي الذي يرى أن تشجيع الشيخ محمد له كان أكبر حافز لإكمال الدراسات العليا .

أسماء السبعة والأربعين
الذين رافقوا الملك عبد العزيز في الكويت وفي فتح الرياض